لطائف المعارف [آية المباهلة]

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله نبي ختم الله به الرسالات وأتم به النبوات صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ،،، أما بعد

فهذا لقاء مبارك تحت عنوان عام وهو [لطائف المعارف] ولقاء اليوم يحمل عنوان [آية المباهلة] ،، ندرك جميعاً أن في القرآن الكريم آيات تحمل أسماء بصرف النظر عن السور فكلنا نعرف (آية الكرسي) وما جاء في فضلها ، و (آية المجادلة) {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} ونسمع بـ(آية المداينة) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} ، ونقرأ عن (آية السيف) {فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ}هذه كلها آيات حملت اسماً أو صفةً معينة ، من تلكم الآيات التي حملت اسماً أو صفةً معينة ((آية المباهلة)) ، ما المباهلة؟ المباهلة في اللغة: الدعاء وهو أمر إذا كان الدعاء للمحاجة وتضمن شيئاً من اللعن انتقل إلى كونه مباهلة لكن لا يلزم أن يكون فيه لعنة ، لكن في الغالب يكون عند المحاجة ، وهذه الآية وردت في سورة "آل عمران" قال الله جل وعلا:{فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ** إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ما سر هذه الآية؟ هذا ما نحاول في هذا البرنامج [لطائف المعارف] في هذه الحلقة بالذات الموسومة بـ((آية المباهلة)) أن نميط اللثام عنه ،، النبي أنزل عليه القرآن ، والقرآن من أعظم ما أنزل من أجله دفع شبه المعاندين ورد دعاوي الكافرين قال شوقي:

جاء النبيون بالآيات فانصرمت *** وجئتنا بحكيم غير منصرم

آياته كلما طال المدى جدد *** يزينهن جلال العتق والقدم

والله يقول من قبل:{وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ** نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ** عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ** بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} هناك وفد من النصارى من نجران قدموا على النبي في مسجده في المدينة والنبي خير داعٍ وخير هادٍ بأمر الله ، يحمل في طيات قلبه السكينة والرحمة والعقل صلوات الله وسلامه عليه ، جاء النصارى أناخوا بمطاياهم وفدهم

في المدينة صلوا في مسجده صلاتهم ولم ينكر عليهم توجهوا شرقاً قبل ، كل ذلك حتى يصل وإياهم إلى طريق بيّن أتوه يجادلونه في أن (عيسى) ابن الله يزعمون أن عيسى ابن الله والنبي يقول:(إنما عيسى عبد الله ورسوله) كيف نزل القرآن في محاجتهم؟ نزل القرآن يعلمنا نحن في الأول كيف ندعو إلى ربنا ، نزل القرآن في الأمور المتفق عليها بيننا وبين النصارى قال الله:{إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ** ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ** إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} فالآيات تتابع تثني على مريم على (آل عمران) والنصارى يعظمون (مريم) يعظمون (آل عمران) إذاً بدأ القرآن بنقاط الاتفاق ، ثم وصل الأمر إلى قضية الخلاف وهي في (عيسى ابن مريم) قال الله جل وعلا: {ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ** إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} كلمة (مثل) هنا ليس المقصود منها المثل المعروف الذي يُضرب ويُقال ضرب مثل لا ، المقصود بكلمة (مثل) هنا حال وصفة والمعنى إن حالة (عيسى) صفة (عيسى) عند الله كصفة (آدم) والمعنى أن النصارى تقول: إن (عيسى) ابن الله بدلالة أنه ولد من غير أب فجاء القرآن وقال: لو كانت المسألة بهذا المفهوم لو كانت القضية بهذا المنطق لكان آدم أولى بالبنوة من عيسى ؛ لأنه إن كان (عيسى) لا أب له فإن (آدم) لا أب له ولا أم ، لكن ليست القضية بهذا المنطق فالله جل وعلا منزه عن الصاحبة والولد مقدس لم يلد ولم يولد قال الله:{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ} من المخلوق من تراب؟ (آدم) وقد مر آدم بثلاث مراحل: خُلق أولاً من التراب ثم التراب مُزج فأصبح طيناً من المرحلة الترابية إلى المرحلة الطينية ثم الطين تُرك فأصبح فخاراً وهذه المرحلة الثالثة وبكلٍ ورد القرآن قال الله من تراب ، وقال من طين ، وقال من صلصال كالفخار ،، هذا المحاجة التي حاج الله بها النصارى {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ** الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ} يا محمد {فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ} وصلت الآن القضية إلى فصل خطاب {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ} أي في (عيسى) {مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ } أي هذا القرآن {فَقُلْ} أي قل لهم {تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} النبي عليه الصلاة والسلام كان على يقين من ربه على يقين من الحق الذي يدعو له وفاطمة أحب بناته إليه وعلي زوجها فدعا فاطمة وعلياً والحسن والحسين هؤلاء أربعة وهو الخامس عليه الصلاة والسلام وواعد النصارى وأتى بأهل بيته وقال لهم _أي لعلي وفاطمة والحسن والحسين-:(إذا أنا دعوت فأمنوا) فقدموا وقدمت النصارى وكانوا وفداً قرابة خمس أو ست فلما رأى ذلك الوفد وكان عندهم شيء من العلم النبي والوجوه

الطاهرة التي معه وجه فاطمة وعلي والحسن والحسين قالت النصارى بعضها لبعض: (إن هذه الوجوه لو سألت الله أن يزيل الجبال لأزالها) فامتنعوا عن المباهلة قال الله:{فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} فخرجوا من عنده من المدينة واتفقوا معه على صلح وعلى أن يبعثوا له بكذا وكذا مما اتفق النبي ﷺ مع هؤلاء القوم والرهط من النصارى ، هذه الآية أيها المبارك لها فوائد لها دلائل من أعظم ذلك: فضيلة هؤلاء الأربعة والنبي ﷺ ثبت عنه أنه جلّل –أي غطى- الحسن والحسين وفاطمة وعلياً بكساء وقال:(اللهم هؤلاء آل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) فآل بيت النبي ﷺ لهم مقام عظيم ، وأهل السنة سلك الله بنا وبكم سبيلهم لا يغلون فيهم ولا يجفون عنهم وهذا هو المنهج الحق ، لكن ليس كل الناس من يدعي هذا فمن الناس من يدعي أنه من أهل السنة أو هو من أهل السنة حقا لكن فيه جفاء لآل البيت ، ومن الناس من يغلو فيهم ودين الله بين الجافي عنه والمغالي فيه ، و(أحمد بن حنبل) رحمة الله تعالى عليه الإمام المعروف فقهياً وسنياً رابع الأئمة الأربعة ظهورا جلده المعتصم وآذاه ، والمعتصم من ذرية العباس ابن عم رسول الله ﷺ ومع ذلك كان يقول:(عفا الله عني وعن المعتصم وجعلت المعتصم في حل) فيقال له: لمَ تفعل ذلك يا أبا عبد الله؟ قال:(إني لأستحيي من الله أن ألقى رسول الله ﷺ يوم القيامة وبيني وبين أحد أبناء عمومته خصومة) ولا ريب أن أبناء العمومة من آل بيت رسول الله لكنهم ليسو في منزلة علي وفاطمة والحسن والحسين فهؤلاء آل بيت رسول الله ﷺ ، وقد ثبت في المسند أن النبي ﷺ قام في الليل فسقى الحسن ثم سقى الحسين –يعني كلاهما يستسقي- وانظر: هذا رأس الملة وإمام الأمة ﷺ ومع ذلك لا يستنكف ولا يستكبر أن يسقي هذين الصغيرين عندما يقوما في الليل عطشى فسقاهما فتنبهت أمهما فاطمة وكانت حجرة علي وفاطمة قريبة من حجرة عائشة فقال ﷺ لفاطمة:(إنك وهذين –وأشار إلى الحسن والحسين- وهذا الراقد –وأشار إلى علي- وأنا –يقصد نفسه- لفي مقام واحد يوم القيامة) وهذا كله أيها المبارك يدل على فضيلة آل بيت رسول الله ﷺ ، كما يأتي الحديث هنا عن (عيسى ابن مريم) عليه السلام: عيسى ابن مريم ما اختلف الناس منذ قديم الدهر في أحد كما اختلفوا في (عيسى ابن مريم) اليهود: زعمت أنها قتلته وتخلصت منه ، والنصارى تزعم أنه قُتل وصُلب لكنه ابن الله ، والمسلمون –وهذا الحق- يقولون هذا عبد الله ورسوله قال الله جل وعلا عن اليهود: {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً ** وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ** بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً} إذاً.. أخبر الله

أن (عيسى) رُفع والنبي أخبر أن (عيسى) ينزل في آخر الزمان كعلم وشرط من أشراط الساعة وقد قال الله في الزخرف:{وَإِنَّهُ} أي (عيسى) {لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ} أي علم من علامات قرب قيام الساعة فينزل عله الصلاة والسلام واضعاً يديه على أجنحة ملك إذا طأطأ رأسه يظهر كأنه خرج من [ديماس] أي كأنه لتوه متوضئ وبيده حربة فينزل والدجال يوم ذاك يحارب المسلمين فإذا رآه الدجال ساح ماع ذاب لكن (عيسى) يتبعه فيقتله لماذا يقتله وقد مات الدجال أصلا؟ قال بعض أهل العلم في تعليلها: ذلك أنه إذا قتله وعلق دم الدجال بحربة (عيسى) اطمأن الناس على أن هذا الدجال الذي يدّعي الألوهية قد قُتل حقاً وهذا دمه حالق بحربة (عيسى) ،، ينزل (عيسى ابن مريم) والمسلمون يومئذ يريدون أن يصلوا العصر في بيت المقدس فيأبى أن يتقدم فيتقدم إمامهم غالباً ما يكون المهدي قال :(إن منكم لمن يصلي عيسى ابن مريم خلفه) تكرمة من الله لهذه الأمة ، من العلل أو الأحكام أو الحكمة التي ذكرها العلماء في قضية لماذا يتقدم المهدي أو هذا الرجل الصالح على (عيسى ابن مريم)؟ على أن في قلبه القرآن و(عيسى) في قلبه الإنجيل والقرآن مقدم على الإنجيل وهذا عندي تعليل حسن لكني لا أجزم به فالعلم الفصل عند الله ..

نبقى في (عيسى ابن مريم) عليه الصلاة والسلام: أخبر النبي أن(عيسى) يمكث في الأرض يحكم قرابة سبع سنين حتى إذا قربت تلك السبع يخبره الله جل وعلا عن خروج أقوام ليس لك بهم يدان هم قبائل [يأجوج و مأجوج] فيحرز (عيسى) المؤمنين الذين معه إلى جبل الطور في أرض سيناء حتى يهلك يأجوج ومأجوج وسيأتي إن شاء الله تعالى لقاء خاص يتحدث عن يأجوج و مأجوج ،، ثم بعد ذلك ينزل (عيسى ابن مريم) وظاهر الأمر أنه يستوطن المدينة لأن النبي أخبر أن (عيسى ابن مريم) سيمر على [فج الروحاء] وفج الروحاء الآن موجود في طريق المدينة-جدة القديم يبعد قرابة سبعين كيلاً عن المدينة ، وأن (عيسى ابن مريم) أخبر النبي أنه سيمر عليه حاجاً أو معتمرا وهذا يؤكد الروايات التي تقول إن (عيسى) سيستوطن آخر الزمان في مدينة النبي .

هذا تهيأ إيراده وأعان الله جل وعلا على قوله وصلى الله على محمد وعلى آله ,,

والحمد لله رب العالمين